الذكرى: للشاعر لامرتين

[الاحزان العميقة مَنْبَعُها الفؤاد ، ومكمنها الحشا ، فهي لا تدرُّ الدموع ، بل تَستقطر دماء القلوب ، وهي صامتة غير صَخّابة ، فاذا ما أنّت نفس المرء العادي وتأوّهت ، خرجت على فمه زَفْرة ، تَتقطّع لها نياط الفؤاد ، وشِغاف القلب ، وتلاشت على شفتيه دون ان يشعر بها احد . اما الشاعر ، فأنّةُ نفسه ، لهيب عواطفه المحترقة ، يصعد على مَتْن الشعر ، فيعبر بازيزه عن المآ وجواه ، بكلمات تهز العواطف ، وتستثير الشجون ، حتى تستعبر منها كل عين ، ويدمي لها كل فؤاد

وكان لامرتين اذا غنى على قيثارة ألمه نشيد روحه المحتضرة ، هيّج مكامن الشجون في النفس ، ورفع هذه من مستقرها الارضي ، الذي الصقها به شطرها المادي ، الى مستواها العلوي ، تاركاً الجسد متخبطاً في دياميس تألمه ودياجير إيجاعه

وهذه القصيدة ، نَفْثة من نفثات صدره الكليم ، لفظتها نَفْسُه بعد فقد حبيبته التي شغفها في مدينة اكس . فقد لبث سبعة شهور هائماً على وجهه ، لا يستقر به النوى ، ولا يحيط قلبه ، الا بصورة تلك الراحلة العزيزة ، حتى اذا ألِف حزنه ، والتى الزمن ستر الكآبة على ألم نفسه ، مُلَطّفاً من شدته ، مخفّفاً من حدّته ، طفق يرسل شعور روحه واحساسها ، الى خيال عشيقته ، الماثل دائماً لتصوراته ، نجوًى وحنيناً ، هما زفير النفس وتأوّهها]

عَبَثاً تعاقب الايام ، وتَهْوي على مَرْلَقَة الزمن ، دون ان تترك أثراً ، فلا شيءٌ يمحو من قلبي ، آخر حُلْم من حبي وغرامي

ارى مِنّي حياتي الرّكُوض تجمع وراءٌ مُتَراصّة ، كما تتراكم اوراق البَلُّوطة اليابسة حول جذعها

لقد بَيَّضَ الزمن مفرقي ، واثلج دَمي الذي يَدِبُّ ببطء في عروقي ، فأشبهتُ مياه الغدير الساربة ، التي تَمْقِيها رياح الجَنوب الباردة

ولكن صورتكِ الفتيّة الساحرة ، التي تزهيها الحَسْرة واللّهْفة ، مَصُونة في اعماق فؤادي ، لن يَمَسّها كِبَرٌ ، ولن تطرّق اليها شيخوخة ، فهي كالروح لا يحدّها عمر

كلا انكِ لم تَنْأي عن حيني ، ولما تَطَلّبكِ طَرْفي الحائر ، ولم يجدكِ على الارض ، تطلعتُ فجأةً الى السماء فالفيتكِ فيها

هنالكِ بدوتِ لي ، كما كنتِ في آخر ايامكِ ، بدوتِ لي زاهرةً زاهيةً ، عند ما

كنتِ تحفزين الى الطيران ، على متن الفجر الى مقرك الازلي

لقد تبعك جمالك التي المسني في رحلتك الأخيرة . فكنتِ ساحرة على الارض ، نقاة في السماء . وعيناك اللتان ألطفا فيهما نور الحياة ، كانتا تشعان باضواء الخلود . اني لا ذكرك وقد اطارت انفاس النسيم الحيية ، خصل شعرك الطويلة ، فتلاعبت بها ما شاءت ، ثم حطتها على صدرك العاجي ، ضفائر متموجة سوداء ، وجدائل أنوسية لماعة

وظلال ذلك البدر المبهم ، تخلي صورتك في فؤادي ، كما يحلو الفجر المنبثق ، عندما يطلق من أسدال الصبح الاخيرة

ان اشعة الشمس الساوية ، تقبل مع النهار ، وتدبر اذا ولى ، ولكن حبي ليس له ليل ، ولا يعتريه أفول . انتِ دائماً نيرة نضي ، وتضيئين روحي

فانتِ التي اراكِ واسمعكِ . سواء أكان في الفلاة او السحاب ، فياه الجداول العافية ، تعكس لي صورتكِ ، وانين النسيم يحمل اليّ صوتكِ

اذا غفت الارض ، وطرق يسعى تأوهات الريح ، تبادر الى ذهني ، اني اسمعكِ تسيرين في أذني ، كأنك العذبة المقدسة

كلما تأملت في تلك الشهب المنتشرة المؤشية ليلاً وجه السماء ، ظننتُ اني اراكِ في كل نجم يحسن في عيني

واذا ما اسكرني هبوب الهواء ، الحامل أريج الازهار ، يسرع اليّ ، اني استنشق انفاسك المعطرة ، في اطيب عبير يصل اليّ

ان يدكِ هي التي تكفكف دموعي . اذا ما استبرت عياي ، والتجأتُ فريداً حزيناً ، الى الهياكل المزينة لارفع صلواتي .

واذا ما غفا طرفي سهرتِ في الخفاء ، وظللتني بجناحيكِ ، مستندة بهما اليّ ، لتدفعي عني عاديات الاذى ، حتى اذا سرت الى رأسي احلام ، تطرقتِ اليّ منكِ ، فتكون لذيذة جميلة ، كنظرات الاشباح ، او تطلعات الظلال

اذا ما زان الكرى على جفني ، وحملتِ بيدكِ لمة ايامي ، اطير اليكِ لأسمو بين احضانك ، فانضمُّ الى شطر روحي السماوي ، دون فرقة ولا بعاد

فاذا ما اتحد روحانا ، كأنهما ضوآن من ضياء الفجر ، أو تهدان قد تمازجا ، حظيتُ بلقائكِ في دار الخلد ، حيث الراحة الابدية ، والهناء السرمدي ، ولكن ألّى لي ان افوز بأمنيتي العاجلة ، وعيني لم تزل تطرف ، وفمي يتنسم الحياة

القاهرة ترجمة : نصيف جورجي بقولاوس